اللغة العربية بين التيسير والتعسير تعليمًا وتعلمًا في ولاية برنو

Arabic Language Between Facilitation and Difficulty: Education and Learning in Borno State

By
Ahmad Umar Bashir
&
Dunama Muhammad Ibrahim
Department of Arabic Studies
University of Maiduguri, Borno State

Abstract

The Arabic language has great importance in the circles of Borno Society, as it is the language of religion, history, culture, economy, politics and international relations. That is why the people of Borno were interested in learning and teaching it, as the Arabic language entered Borno in the seventh century AD, and it spread in this region and is still in spread to this day and became the language of knowledge, civilization and administration before it fell into the hands of the colonialists. Individuals and groups have established Educational Centers in it from that time to the present time, and the people of this State had the merit in transferring the Arabic language to their neighbors for religious, social and economic purposes. They established Qur'anic, regular and Arabic schools for the members of their community, so the language occupied a prominent place in the midst of this society.

Keywords: *Arabic, Learning, Education, Difficulty, Facilitation*

المقدمة

عندما احتل الإنجليز مملكة كانم برنو بَدَّل مكان اللغة العربية باللغة الانجليزية وذلك يُعتبر غزو ديني وثقافي للشعب. ومع هذا كله فإنّ اللغة العربية قد سادت وعمت البلاد بسبب كونها دولة حضارة وعلم، ومهما يكن من شيء فالسلبيات تعقبت الايجابيات، فهناك عدد من مظاهر التعسير في تعليم اللغة العربية وتعلمها لسبب وجود لغات تنازعها في البقاء، بعضها محلية وبعضها أجنبية. فلابد أن تقاومها وتظهر عليها وهي مطالبة بأن تتفوق على اللغات الأجنبية، وتستعيد دورها القديم الذي هو لغة الثقافة والدين في القطاع التعليمي. فإن اللغة العربية في برنو القديمة والحديثة لها نشاطات تنموية في اكتساب المتعلم القيم وبعض المهارت والخبرات الضرورية للحياة، فضلاً عن ممارسة اللغة في جو طبيعي، علماً بأن العالم المعاصر يمر بأوضاع صعبة وأحداث مرعبة لم يبق لها مثيلاً في خلال تاريخ البشرية الطويل. ومع ذلك أحكمت اللغة العربية سيطرتها وانتشرت في المنطقة لكونها لغة الدين أولاً ثم لغة الثقافة ثانياً. وفيما يلي يناقش الباحثان النقاط التالية.

نبذة عن برنو المعاصرة:

الموقع الجغرافي:

تعتبر برنو المعاصرة جزءا من الإقليم الشمالي لنيجيريا، ولقد استقلت نيجيريا من بريطانيا في يوم ١ من أكتوبر عام ١٩٦٠م، وبعد الاستقلال بثلاث سنوات ضم إقليم ديكوا **(Dikwa)** إلى برنو المعاصرة بعد ما كانت تحت سيطرة جمهورية الكامرون، وبعد الاستقلال أصبحت برنو المعاصرة لها ملوكا بلا نفوس، حيث وضع المستعمر هؤلاء الملوك في الهامش، وجعلهم ملوكا تقليديين، فكانوا يؤدون واجباتهم بأمر من حاكم الولاية، (بشير، ٢٠١١م ص ١٣).

فبرنو هي ولاية من ضمن الولايات النيجيرية التابعة للحكومة الفدرالية النيجيرية، ومن هنا أصبحت الولاية ليس لموكلها ذلك النفوذ الذى يتمتع به ملوك برنو القدماء "قبل الإستعمار" فبرنو القديمة عبارة عن مملكة واسعة

مستقلة لذاتها لأنها لم تكن تحت أي إستعمار بخلاف برنو المعاصرة التى ظل ملوكها خاضعين لحاكم الولاية، ولكنهم مع ذلك يحظون بشعبية عظيمة من قبل شعوب المنطقة، (الحسيني، ١٩٨٥م ص ٧٦).

فولاية برنو المعاصرة فى أيامها الأوائل تشتمل مناطق بوشي **(Bauchi)** وأدماوا **(Adamawa)** وترابا **(Taraba)** ويوبي **(Yobe)** وغومبي **(Gombe)** وهذا يدل على أنها شاسعة الأطراف حاوية على أقاليم شتى وعرقيات مختلفة وبمضى الزمان وتقدم الأيام تغيرت الأوضاع، فاستقلت المناطق المذكورة آنفاً عنها، وبعد هذا أصبحت برنو هي ولاية مستقلة، وهى برنو المعروفة اليوم، وعاصمتها مدينة "ميدغورى" التى تم تأسيسها بعد أن وقعت مملكة برنو تحت الإستعمار البريطانى وبعد الأحداث التى دارت بين الشيخ غرباى وفضل الله بن رابح، وبعد أن كانت عاصمتها الأولى كوكاوا **(Kukawa)** لم تعد صالحة للسكنى. مع ذلك أصبحت مدينة "كوكاوا" عاصمة برنو بصورة متواضعة فى عام ١٩٠٣م (الضي، ٢٠٠٨م ص ١٥). وقد زارها الحاكم الإنجليزي السيد فوردليك لوغارد بعد عام من تأسيسها، والتقى بالشيخ غرباي وبمجيئه فهم أن جو مدينة كوكاوا لا يصلح أن يكون مركزاً للسلطة كون الجو فى الخريف غير ملائم للمدينة والازدهار، كما أنها تتعرض فى الصيف لحر شديد، إضافة إلى ذلك أن العاصمة فى وسط البلاد أفضل من كونها على طرفها مما يزداد به الإزدهار من ناحية الإقتصاد، لذا طلب الحاكم الإنجليزى من الشيخ غرباي أن ينتقل من كوكوه إلى منطقة أخرى تقع فى وسط البلاد على أكبر ممر استراتجى يربط بين أسواق بلاد هوسا ككانو وغيرها ببلاد السودان، وكانت تلك المنطقة هى "ميدغرى" التى سماها الشيخ "حيروا" أو "يروا" ومعنى الكلمة إما خيراً أو ذات خير (الحسيني، مرجع سابق ص ٥١).

وقد تم إنتقال السلطان إلى العاصمة الجديدة "ميدغرى" أو "يروا" عام ١٩٠٧م، وملوكها ما زالوا يدعون بلقب الشيخ إلى يومنا هذا، (الإلوري، ص ١٥).

وعلى هذا تقع برنو المعاصرة فى شمال شرق نيجيريا وتحدها من الناحية الغربية ولاية يوبي **(Yobe)** ومن الناحية الجنوبية ولاية أدماوا **(Adamawa)** وتحدها شمالاً بحيرة تشاد، ومن الشرق دولة "الكامرون" (الضي، ٢٠٠٨م مرجع سابق ص ١٧).

القبائل التي تسكنها

أما بالنسبة للحالة الإجتماعية لولاية برنو، فإن عدد سكانها في بداية الأمر حوالي خمسة ملايين نسمة، ولكن في هذا الوقت تربو عن ذلك العدد بأضعاف كثيرة، وكانوا من أجناس مختلفة منهم الكانوريون والفلانيون والكانمبو والعرب والبربر والتيبو والبلالا وغيرهم. وتتميز حياتهم الإجتماعية وطريقة معيشهم تميزاً واضحاً عن جيرانهم، فهم مسالمون ومتحضرون، (شلبي، ١٩٧٤م ص ٥٠).

وجملة القول فإن برنو المعاصرة فقد تكونت من شعب يتشكل من عدة قبائل، ومن أهم القبائل التى استوطنت هذه الولاية قبائل الكانورى ويكونون أغلب سكان الولاية، وأن لغتهم هى اللغة السائدة، ومن القبائل الرئيسية فى الولاية قبائل العرب بجميع بطونها المعروفون بالعرب شوا، وقبيلة الفلانى، والبابور، والمرغى، والمندرا، والغوزا وغيرها. وهناك قبائل فرعية استوطنت الولاية منذ عهد بعيد تمارس التجارة والصناعة كالإيبو، واليوربا، والهوسا وغيرهم. وتتميز حياتهم الإجتماعية تميزاً واضحاً عن حياة القبائل الأصلية فى الولاية، (الضي، مرجع سابق).

أصل اللغة العربية وتاريخها في ولاية برنو

تسميتها: نسبت اللغة العربية إلى العرب، لأنها لغتهم التي فتقت عليها اسماعهم ودارات عليها رحي بيانهم، وقد سموا عرباً لأنهم: أهل بيان وفصاحة، واسم العرب مشتق من الإعراب وهو الإبانة فيقال: أعرب الرجل عن ضميره إذا أبان عنه، ووسمت العربية بسمة صارت ترادفها حتى اليوم هي العربية الفصحى واللغة الفصحى. والمقصود بها: اللغة التي

نزل بها القرآن الكريم تمييزاً لها عن بقية اللغات واللهجات، والفصح والفصاحة البيان، وبهذا كانت الفصاحة والبيان من أهم السمات الأساسية التي وضعت بها اللغة العربية (بلعيد، ٢٠١٥م ص ٢٥).

تصنيفها: تصنف اللغة العربية ضمن اللغات السامية التي يرجع اسمها إلى سام بن نوح عليه السلام، وأول من أطلق هذه التسمية هو العالم الألماني، شَلُوتَزرْ عندما كان يبحث في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي عن تسمية مشتركة للغات العربية والحبشية (بروكلمان، ١٩٧٧م ص ١١)، وتتقارب اللغات السامية وتتشابه وتشترك في أصول كثيرة اشتراكاً يكاد يجمعها في أصل واحد، لذلك رأى العلماء أنها تنتمي إلى أرومة واحدة إلى اللغة السامية الأم أو اللغة السامية الأصلية حيث كان المتكلمون بهذه اللغة يعيشون في أماكن متجاورة في اتصال وتقارب مما جعل منهم شبعاً واحداً وأمة واحدة. ولكن هذه اللغات انقسمت بعدئذ إلى لغات عديدة ولهجات مختلفة وانتشرت في المنطقة التي تمتد من الخليج العربي إلى بلاد ما بين النهرين، ومن هضبة الحبشة إلى البحر الأبيض المتوسط، وهذه اللغات اندثر بعضها، وبعضها الآخر ما زال ينبض بالحياة، وتنقسم هذا اللغات إلى ثلاثة أقسام:

١/ اللغة الشمالية الشرقية: وتشمل الأكادية بلهجتها البابلية والآشورية.

٢/ اللغة الشمالية الغربية: وتنقسم إلى مجموعتين:

أ/ المجموعة الكنعانية: وتشمل الكنعانية القديمة والعمورية، الأوغارتية الفينقية العبرية، البونية، والبونية الجديدة العمونية والأدومية.

ب/ المجموعة الآرامية: وتقسم إلى قسمين:

أ/الغربية: وهي التي انتشرت من غرب الفرات إلى الحدود الفينقية وتشمل: آرامية مصر، أراسية الكتاب المقدس، الآرامية الفلسطينية الترميرية الآرامية الغربية الحديثة.

ب/الشرقية: ومنطقتها شرق الفرات كنوبا وشمالا، وتضم: السريانية لغة التلمود البابلي، المندعية، الآرامية الشرقية الحديثة. (علي، ١٩٩٣م ص ٥٤٢).

٣/ اللغات الجنوبية: تقسم إلى:

أ/ العربية الشمالية: وهي لغات شمال جزيرة العرب، ومنها لغات بائدة (الصفوية الثمودية اللحيانية) ولغات باقية (العربية الفصحى).

ب/ العربية الجنوبية: وتشمل لغات جنوب الجزيرة ولهجتها، ومنها: الحضرمية القتبائية السبئية المعينية.

ج/ الأثيوبية: وتضم اللغات الجعزية، التجربة، التجزينية، الأمهرية، الهروية، الجوارحية (سكر، ١٩٨٨م ص ٣٩).

وعلى هذا تعد اللغات العربية من أشرف اللغات السامية وأكثرها ألفاظها واشتقاقاً، فقد استطاعت عبر التاريخ أن تخطو خطوات واسعة نحو التطور والتقدم حتى إلى أن جاء الإسلام حيث وصلت إلى الذروة من التقدم والرقي، على حين تجمدت اللغات السامية الأخرى، ومن المنطق أن نقول: أن لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى فأثرت فيها ووصلت إلى هذه الدرجة من التطور لابد أن يكون مورداً لغيرها من اللغات الأخرى، تمدها بما تحتاج إليه مفرداتها الواسعة، وبمرور الزمن استطاعت اللغة العربية أن تنشر مفرداتها في أنحاء كثيرة ومواطن متعددة إلى أن قضت على أخواتها من اللغات الأخرى لتصبح لغة الحضارة والكتابة.

دخول اللغة العربية في ولاية برنو

رافقت اللغة العربية الإسلام إلى مملكة برنو ودخلت أرضها في القرن الحادي عشر الميلادي حيث اتصل تجار العرب مع الأهالي وأخذوا يبذرون حبوب هذه اللغات في أراضيهم شيئا فشيئا وحالة اللغة العربية في الفترة التي نتحدث عنها كأنها في مرحلة البذرة لأنها تتأصل ولن تتوطد ولم تخرج عن إطار ضيق محدود ولم تتجاوز حدها معرفة شيء يسير

من القرآن الكريم والعلوم الدينية البسيطة التي يكتفي بها في أداء الواجبات الدينية، وكانت اللغة العربية في تلك الفترة لا تتجاوز كلمات وبعض جمل التي أدخلها التجار العرب. (الحسيني، مرجع سابق ص ٣٣)

ومما يؤكد هذا الرأي عدم وجود علماء نابغين قبل القرن الرابع عشر الميلادي اللهم إلا أمثال محمد ماني وإبراهيم بن يعقوب الكانمي وكذلك عدم وجود ما كتب وسجل في تلك الحقبة. وظلت اللغة العربية على هذه الحالة تنمو في قرون عدة، وفيما بين هذه القرون نبتت حبوب الثقافية العربية التي غرسها التجار والدعاة العرب في المملكة (المرجع نفسه).

وهكذا ظلت مملكة برنو التي كانت الثقافة الإسلامية هي ثقافتها، واللغة العربية هي لغة التعليم ولغة الدولة الرسمية والمعاملات التجارية والمراسلات الدولية، ولقد بلغ الأسلوب العربي درجة كبيرة من التقدم في المملكة كما يبدو من مؤلفات علمائها، نلاحظ ذلك من خلال الرسائل التي تبودلت بينهم وبين جيرانهم (كلود، ١٩٨٨م ص ١٧).

وقد ظهر في المملكة عدد من العلماء؛ مثل الشيخ محمد بن ماني الذي كان له فضل كبير في الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه، وقد درس بعض المايات القرآن وكتب الدين، مثل الماي بولو الذي حكم عام ١٠٢٠ هـ تقريباً (طرخان، ١٩٨٥م ص ٩٨)، ومن العلماء الذين اشتهروا في برنو إسحاق بن إبراهيم كانمي الأديب الشاعر الذي دخل على سلطان الموحدي المنصور - في المغرب-وأنشده قائلا (الإرلوري، ص ٥٩):

أزال حجابه عني وعيني ** تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن ** بعدتُ مهابة عند اقترابي

والشيخ أحمد بن فَرْتُو المعاصر لماي إدريس ألوما، والذي تُعد مؤلفاته المرجع الأساس لتاريخ برنو وبخاصة فترة إدريس ألوما .والشيخ أبو بكر الباركوم الذي وصفه الشيخ محمد بلّو بقوله: «كان الشيخ عالماً بالمنقول والمعقول، صالحاً تقياً بارعاً، والحاصل أنه بلغ مبلغ الرجال (بلّو، ١٩٦٤م ص ٣٧)، وله تآليف عدة؛ منها :نظمه على الكبرى وشرحه، ومنار الجامع في علم التصريف، وله عدة قصائد في نصح الأمراء والحكام وفي العتاب، ومنها قوله للسلطان معاتباً له لما أغلق دونه ومنعه من الدخول بسبب وشاية الحساد (المرجع نفسه):

أتركت باباً لا يُحد مسافة ** وأتيت باباً سدَّه البواب
باب يقول فلا تلج وتولّ من ** بخل وكل ضم هذا الباب

والشيخ محمد البكري الذي وصفه محمد بلّو بقوله« :من علماء هذا البلد كانم الإمام العالم العلامة المتقن الفهامة شيخ الشيوخ...محمد البكري، أخذ العربية والبلاغة...».

والشيخ عمر بن عثمان كان في زمن ماي علي بن الحاج (١٥٤٤م-١٥٨٠م) (الذي وصف في المحرم الذي كتبه بأنه عالم واسع الإطلاع غزير العلم والمعارف، أتقن اللغة العربية والمنطق والبلاغة والشريعة والتوحيد فضلا عن القرآن والحديث) (طرحان، ص ١٧٧).

وانتشرت فيها مدارس لتعليم الصغار والكبار، كما في عهد الشيخ محمد الكانمي وعهد خلفائه وبخاصة عهد عمر بن محمد الكانمي (١٨٣٥م-١٨٨٠م) حيث: «نالت كوكاوا ...المدرسة العليا الممتازة، ويدرس فيها حوالي مائتين إلى ثلاثمائة من الشباب الذين يتراوح عمرهم بين عشرين وخمسة وعشرين عاماً». (غانم، ١٩٩٦م ص ٤٥٠)

«والخلاصة أن برنو كانت مليئة بالعلم والعلماء في شتى فنون المعرفة الإسلامية والعربية، فقد سطع في برنو نجم عدد من العلماء الكبار في العلوم الشرعية واللغوية، مثل الشيخ أبي بكر الباركوم الملقب بابن أجروم، ولعل ذلك راجع إلى إتقانه للنحو، والشيخ محمد بن إبراهيم البرناوي، وله كتاب في النحو عنوانه (الدرر اللوامع)، وفيه لفتات نحوية بديعة». (عبد الرزاق، ١٩٨٠م ص: ٣٢)

ومهما يكن من أمر فإن اللغة العربية حية في برنو، وإن وجودها أصيل يقر التاريخ بأصالته وأنها لا زالت تنمو وتتطور في نفوس المجتمع من أبناء برنو العزيزة، وقد ازدهرت وانتشرت انتشاراً واسعاً حتى أصبح تعلم اللغة العربية ومعرفتها والتحدث بها موضع فخر واعتزاز بين المجتمع.

أهمية اللغة العربية لدى المجتمع البرناوي وإسهاماتهم في تطورها

إن اللغة العربية هي لغة القرآن وهي لغة الإسلام والمسلمين وارتفاع شأنها وزادهارها مرتبط بارتفاع شأن الأمة، وازدهارها وانحطاط هذه اللغة هو علامة واضحة للانحطاط هذه الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس. وأهم ما تهدف إليه اللغة في المجتمع البرناوي هو البيان والدلالة على وعي الأمة وكمالها ذلك لأن المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في الأذهان والمختلجة في النفوس والملابسة للخواطر والحداثة عن الفكر وأعماله مستورة عن الناس خفية بعيدة المنال إنما يكشفها التعبير والبيان ويوضحها ويزيل الحجاب عنها (الحسيني، ٢٠١٠م ص: ٧).

وباختصار فإن الغاية في الكلام الوصول إلى المعنى بوضوح وإيصاله إلى السامع بجلاء، وبما أن المعنى جزئيات غير محدودة في حين أن الألفاظ التي تعبر عنها محدودة استعمل البلغاء من البشر هذا الفراق في لغاتهم بالدلالات المختلفة وهو جزء لا يستغنى عنه في اللغة.

إن اللغة أداة التفاهم بين الأسرة الواحدة والشعب الواحد والأمة الواحدة وهي أول وسيلة لتحصين الثقافة وتكوين الحضارة، لأن اللغة هي الوسيلة المباشرة لنقل الشعور والعواطف من ذهن إلى ذهن ومن شخص إلى آخر، وهي تترجم عن أفكار الأمة في آمالها وآلامها، وهي إذن رباط الوحدة والاخاء والتضامن والتفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع والأمة.

وعلى هذا، فإن المجتمع البرناوي قد أسهم في تطور اللغة العربية في مدينة ميدغري وذلك يرجع إلى العوامل الآتية:

- الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، ويعتبر هذا الموسم من أهم العوامل التي ساهم فيها المجتمع في تطور اللغة العربية وآدابها وثقافتها في برنو، حيث يرى طلاب المدارس العربية يترقبون مجيء هذا الموسم بكل شوق واستعداد طيلة شهور السنة، حيث يفكر كل لقرض قصيدة رائعة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء من هذا القبيل من الشعر الإسلامي أو إلقاء خطبة يعالج فيها مشكلة من مشاكل هذه المجتمع، ويفكر كذلك في الدور المناسب الذي يقوم به في هذا الاحتفال (بشير، مرجع سابق ص ٤٢).
- ومن إسهماتهم في تطور اللغة العربية انخراطهم في سلك المدارس النظامية العربية، فإنهم بالإضافة إلى ما سبق وهم متفوقون على أقرانهم الذين لم ينخرطوا في النظام الحديث بقراءة الكتب المقررة من خلال هذا المنهج المدرسي المنظم حسب المراحل الدراسية حيث ألموا بمعرفة كيفية استعمال الكلمات المناسبة في الأماكن الملائمة وذلك بواسطة المحاورة والمناقشة التي تجري بينهم وبين مختلف الأساتذة في مدارسهم، واضف إلى ذلك تعليمهم علوم البلاغة والعروض والنحو وكل ما له علاقة باللغة العربية (عبد الرؤوف، ٢٠٠٧م ص ٤٢).

ويلاحظ أن الكثير من أهل برنو يحتفظون بميولهم حتى تصير هوية لهم في حياتهم بعد التخرج من المدارس النظامية فيواصلون في ممارسة الفنون التي شاركوا فيها في نشاطات المدرسة سابقاً، فتجد منهم مع مرور الزمن كتاباً مختصصين في كتابة القصائد أو كتابة الخطب أو فناناً مجيداً في كتابه الروايات.

هذا ويظهر للباحثين أن أهل برنو قد أسهموا في تطور اللغة العربية بهذه النشاطات – قديماً وحديثاً - فاستطاعوا أن يرفعوا رأية الثقافة العربية في ربوع هذه الولاية.

تعليم اللغة العربية وتعلمها (تيسيراً وتعسيراً) في ولاية برنو

كان لبرنو اتصال قوي بينها وبين بعض دول شمال افريقيا منذ أمد بعيد، وقد ازداد ذلك الاتصال قوة بعد انتقال المملكة إلى مقرها الجديد، وقد أدى هذا الاتصال إلى فشو العربية بين الأهالي وإلى ذهاب بعثات علمية من برنو إلى تلك الدول للتعلم فيها. وإلى إيراد الكتب واستدعاء العلماء منها إلى برنو لتعليم الناس العلوم العربية والإسلامية، وقد أسفر هذا التطور وفود العلماء بكثرة إليها (تدن نفاوا، ٢٠١١م ص: ٢٢).

شهدت في الفترة المذكورة ازدهاراً عليماً وثقافياً واسعاً وذلك بفضل عدة أسباب، منها:

- وفود العلماء بكثرة عليها للتعليم فيها
- إيراد الكتب الإسلامية والعربية إليها
- حماسة ملوكها في نشر العلم والدين (المرجع نفسه).

وقد تفاقم أمر التعليم الإسلامي والعربي في أيام إدريس ألوما ١٥٦٩-١٦٠٠م مما جعل عصره عصراً ذهبياً بالنسبة للعلم واللغة العربية، وقد شهدت برنو في أيامه تقدماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً علاوة على التقدم الثقافي، وقد ازدادت علاقات برنو الخارجية مع دول أخرى قوة في أيامه، وخاصة مع الدول العربية: ليبيا ومصر والمغرب وتونس مما ساهم في تدفق العرب إلى برنو بشكل واسع، وانتشرت اللغة العربية بين الأهالي بشكل سريع، وقد استمر الأمر على هذا المنوال إلى القرن الثامن عشر الميلادي (المرجع نفسه ص ٢٦).

ولما جاء المستعمر في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي انقطع هذا الاتصال ثم أصدر الاستعمار حكماً يهمش العلماء ويبدل العربية بالانجليزية والشريعة الإسلامية بالقانون الوضعي (أبوبكر، ١٩٦٠م ص ٢٠). هذا، وقد واجه التعليم العربي تحديات عديدة ويمكن حصرها في التالي (عبد المؤمن، ٢٠١٤م ص ٤٥):

- عدم تدريب المدرسين وتأهيلهم تربوياً
- عدم بيئة ملائمة للتعلم وتعليم اللغة العربية
- عدم المكتبات الغنية بالمراجع المناسبة
- قلة المباني المتخصصة للمدارس العربية
- ضعف التمويل وقلة المدرسين المؤهلين
- عدم الجمعيات العربية الناشطة
- عدم المعدات الحديثة للتعلم والتعليم

هذا مما جعل اللغة العربية لغة أجنبية، واللغة الانجليزية لغة رسمية، رغم مكانة اللغة العربية التي حظيت بها عدة قرون في هذه المملكة.

المدارس التقليدية ودورها في تعليم وتعلم اللغة العربية

المدرسة التقليدية: تُعرف أيضاً بالمدرسة الكلاسيكيّة، وهي الرافد أو أسلوب فكري ظَهَر في نهايات القرن التاسع عشر في عَلم الإدارة، وجاءت هذه المدرسة كثمرةٍ للتّفاعل الناجم بين عددٍ من التيّارات المنتشرة في تلك الفترة، وتُعبّر عن محاور التفكير الخاصّة بروّادها فيما يتعلق بأمور تقسيم العمل؛ وما يتطلبه الأمر من أن يكون عليه حتى تتحقّق الكفاءة الإنتاجية. ويُمكن تعريف المدرسة التقليديّة بأنها عبارة عن نهج أو أداة فكريّة تُنتهج إدارياً لغايات تطبيق العلوم الإدارية والاقتصادية وإدخالها حيّز التنفيذ في شتّى مجالات الحياة الإنسانية، ويعود السبب في تَسميتها بالكلاسيكية كونها المَدرسة الأولى التي عُنيت بوضع القواعد والأساسيّات الإداريّة (كلود، ص ١٤٩).

دخل الإسلام وانتشر في برنو واعتنقه سلاطينها، وأسسوا دولة إسلامية، ومن هنا اهتموا بالعلم والمعرفة سواء في المجالات الدينية أم الدنيوية، وعلى هذا قال أحد الشعراء:

العلـــم يرفـــع بيتـــاً لا عمـــاد لـــه ** والجهـل يهـدم بيـت العـز والكـرم

ولهذا شهدت بلاد برنو نظاماً تعليمياً على غرارة التعليم الذي كان سائداً في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي، وهكذا دعت الضرورة إلى إنشاء دور التعليم، وقد تعددت تلك الدور وتنوعت منها:

١/ المسجد

٢/ منازل العلماء وقصور الحكام

٣/ الكُتّاب

هذا، لم يكن هناك برنامج زمني محدد لبدء الدراسة أو الانتهاء منها، بل كانت الدراسة تخضع خضوعاً تاماً للأستاذ المعلم وظروفه المعيشية. وأما بالنسبة لأساليب التدريس المتبعة فهي غالباً مستفادة ومأخوذة من تلك الأساليب المتبعة في مكة المكرمة والمدينة المنورة تعلمها الفقهاء عند أدائهم فرائض الحج (المرجع نفسه ص ١٦٧).

وكذلك من الأماكن الهامة التي درست فيها العلوم الإسلامية في الشمال، دهاليز العلماء، وهي عبارة عن مدارس أساسية مستقلة في نشر الثقافة العربية والإسلامية، إذ كان كثير من علماء برنو يلقون دروسهم في منازلهم، وذلك نظراً لقلة المساجد الجامعة، وعدم إمكانية أولئك العلماء من بناء أماكن ليعلموا فيها أبناء المسلمين فاتخذوا من منازلهم مدارس، يلتقون فيها بتلاميذهم (المرجع نفسه ص ٤٤).

وأما الأسلوب المتبع في التدريس في هذه المدارس التقليدية هو أن التلاميذ كانوا يأتون المعلم في المنزل حاملين كتبهم فتلقى لهم الدورس على النحو التالي: يقرأ أحد التلاميذ النص والمعلم يشرح وبهذا يتمكنون من شرح باب أو فصل كامل لكل كتاب. وما زالت هذه الدهاليز تعطي ثمارها وتقوم بدورها كعادتها حيث أهلت الأعداد الغفيرة لحمل رسالة نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية. والدهاليز عادة ما تأوي الكبار حيث يقوم أحد العلماء بإعداد حلقات دهليزية ليفد إليه طلبة العلم، من كل فج وصوب، ويتصدى الشيخ صاحب الحلقة لإلقاء الدروس في شتى العلوم العربية والإسلامية.

وجملة القول، وقد دخلت مدارس القرآن في برنو بدخول الإسلام وكانت مدينة (غزرغمو) مركزاً لهذه المدارس حيث يقصدها الطلاب من أقطار السودان المختلفة (عبد الغفار، ٢٠٠٤م ص ٤٤).

المدارس النظامية ودورها في تعليم وتعلم اللغة العربية

أما المدارس النظامية أو الحديثة فهما من الاصطلاحات التي ظهرت في مناهج التعليم بأوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وامتدت إلى بلاد العربية في أواسط القرن التاسع عشر وعرفت في نيجيريا على وجه العموم وفي برنو على وجه الخصوص في أوائل القرن العشرين، وأول من جمع الأولاد للتعليم العربية بهذا الأسلوب هو الشيخ محمد مصطفى أفندي نزيل لاغوس عام ١٩٠٤م. وقد اهتمت برنو أيضا بهذه المدارس حيث صارت علماً لها وكانت كوكاوا عاصمة ممكلة برنو هي من أهم مراكز تعليم القرآن الكريم في أيام الأمين الكانمي الذي كان يحث الناس على قراءة القرآن وحفظه، حتى بني في بيته مدرستين إحداهما لتدريس القرآن الكريم والفقه والأخرى للغة العربية (المرجع نفسه ص: ٤٥).

وفي عام ١٩٣٠م بدأت المدارس العربية والإسلامية بالنشوء في شمال نيجيريا لتخريج القضاة والكتبة في المحاكم الشرعية وكان الطلبة فيها يتعلمون اللغة العربية والدراسات الإسلامية على المذهب المالكي. ومن بين هذه المدارس مدرسة الشريعة في كانو، هذه المدرسة تعتبر الفريدة من نوعها في غرب إفريقية، حيث أدت دوراً هاماً في نشر الثقافة العربية الدينية في نيجيريا، وأصبحت كعبة يغشاها الطلبة من كل المحافظات النيجيرية والبلدان الافريقية

المجاورة حيث كان أساتذتها مبعوثين من مصر والسودان، ويشار إليها بالمدرسة الأولى التي غرست وأعطت ثمارها وكانت النخبة الأولى والممتازة المثقفة من أبناء هذا الوطن من خريجيها (المرجع نفسه ص: ٥٢-٥٣).

وكذلك مدرسة الدراسات العربية والإسلامية العالية بمدينة ميدغري هي الأخرى قد أدت دورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية، وأصبحت فيما بعد مركزاً للعلم حيث أتت بثقافة وحضارة لأبناء هذه الولاية. وقد أنتجت أكثر المحاضرين في جامعة ميدغري وخصوصاً قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بما أن هذه اللغة تعتبر لغة أجنبية. ومع هذا كله، فإن هذه المدرسة لها دور عظيم في نشر الثقافة العربية في ولاية برنو. وبناء على ذلك، فإن الاهتمام باللغة العربية وآدابها في هذه الولاية أدى بالمواطنين لهذه المدينة بتأسيس مدارس تدرس فيها اللغة العربية (المرجع نفسه ص ٥٥).

واستمرت تلك المدارس في تطور ملحوظ عبر السنين والفترات اللاحقة نتيجة للتطور الذي شهدته الولاية في مختلف المجالات والقطاعات، وازداد عدد المدارس العربية الإسلامية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والخلاوي **(Tsangaya)** في كل المدن والقرى النيجيرية.

هذا، فإن لفظة المدارس النظامية هي عبارة عن الاصطلاحات التي ظهرت في مناهج التعليم بأوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي كما ذكر سابقاً. فالمدارس التي اعتنت بنشر اللغة العربية في مملكة برنو كثيرة منذ تلك الفترة إلى الوقت الراهن. وأحصى منها الأخ عبد الغفار جده في بحثه المعنون "حالة اللغة العربية في برنو قبل الاستعمار وبعده من سنة ١٩٠٠-٢٠٠٠م" وإليك بيان ذلك في السطور التالية: معلوم أن مدينة ميدغري فيها عدة حارات حسب الموقع الجغرافي الذي لا مجال للحديث عنها ويخص الباحث ذكر بعضها التي أسست فيها مراكز نشر الثقافة العربية والإسلامية. وذلك على النحو الآتي:

١. حارة أَبَّهْ غَنَارَمْ التي تقع وسط العاصمة (ميدغري) أسست فيها أول مدرسة إسلامية عام ١٩٥٦م، وهي "معهد الشيخ أحمد أبي الفتح الإبتدائي" للشيخ أحمد أبي الفتح. وفي عام ١٩٩١م افتتح القسم الثانوي.
٢. حارة غونغي التي تقع جنوبي شرقي العاصمة (ميدغري) يوجد في هذه الحارة ثاني مدرسة إسلامية أسست من أجل نشر الثقافة العربية والإسلامية عام ١٩٥٧م، وهي "معهد النهضة الإسلامي الإبتدائي" للشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، وفي التسعينيات مطلع عام ١٩٩٣م افتتح القسم الثانوي. وفي عام ١٩٩٣م افتتح قسم النساء وسمي بمعهد السيدة خديجة الكبرى. ومدرسة إبراهيم الإسلامية، لمؤسسها الحاج إبراهيم عام ١٩٩٠م في حارة غونغي.
٣. حارة مافوني التي تقع شمالي العاصمة (ميدغري) ففي هذه الحارة أسست كلية الدراسات الإسلامية العليا من قبل حكومة الولاية عام ١٩٧٣م. وأسست فيها مدرسة إبراهيم شريف الإسلامية والمدارس الأهلية عام ١٩٨٥م في حارة مافوني، وأيضا مدرسة يا عائشة الإسلامية للمعلم حمّ آدم بيو عام ١٩٨٥م في حارة مافوني.
٤. حارة بلمكتو التي تقع أقصى غربي جنوب العاصمة (ميدغري) وقد أسست في هذه الحارة أشهر كلية اعتنت بنشر الثقافة العربية والإسلامية على الاطلاق، "كلية الكانمي" وذلك عام ١٩٧٥م وفيها تخرج العديد من العلماء الأكاديميين وغدوا مصابيح المجتمعات الإسلامية. ويرجع فضل ذلك كله إلى مؤسسها محمد زبدني سوري الجنسية. ولهذه الكلية عدة فروع في الولايات النيجيرية، فيها روضة، إبتدائية، ثانوية، دبلوم وجامعة.
٥. حارة فيدرال لوكوس التي تقع في أقصى غربي شمال العاصمة (ميدغري) وقد أسست فيها مدرسة أساس الإسلامية الابتدائية عام ١٩٧٨م، وهي المدرسة الوحيدة التي أعطت مالها من الجهود الفعالة في نشر ثقافة الدين الحنيف في تلك المنطقة.

٦. حارة هوساري التي تقع أدنى غربي العاصمة (ميدغري) وتوجد في هذه الحارة مدارس عدة بسبب الكثافة السكانية ووجود الكثير من ذوي الهمم العالية في غرس ثقافة الدين في أجيال المسلمين. وسيقوم الباحثون بذكر بعضا من هذه المدارس على النحو التالي:

أ/ مدرسة عثمان الإسلامية الإبتدائية لمؤسسها الحاج عثمان. أسست عام ١٩٧٨م.

ب/ مدرسة الفلاح للهدى الإسلامي للحاج عثمان طن كولي، أسست عام ١٩٨١م.

ج/ مدرسة أبا غوني الإسلامية الابتدائية للشيخ أبا غوني. أسست عام ١٩٦٦م.

د/ مدرسة أنصار الدين الإسلامية الإبتدائية لمؤسسها الحاج عيسى يوسف، وذلك عام ١٩٩٥م.

٧. حارة كِنَغَرْمَكَّة آدم كولو التي تقع أدنى جنوبي العاصمة، وأسست في هذه الحارة مدرسة "معهد الإرشاد للتوجيه الإسلامي" لرجل الأعمال الشهير الحاج عمر علي آدم كولو، وهي من أقدم المدارس الإبتدائية التي أسست في ميدغري حيث تم تأسيسها عام ١٩٨٠م.

٨. حارة ميدغري التي تقع شرقي العاصمة (ميدغري). وقد أسست في هذه الحارة إحدى أشهر المدارس الإبتدائية في منطقة ميدغري وهي مدرسة زَنْغِنَا الإسلامية لمؤسسها الحاج رابع زَنْغِنَا وذلك عام ١٩٩٥م.

٩. حارة غَلاَدِيمَا وهي تقع شمال العاصمة (ميدغري) ويوجد في هذه الحارة أول معهد أسس من قبل المنظمات الإسلامية العالمية عام ١٩٩١م "معهد الأزهر الشريف" وهذا المعهد عبارة عن فرع بجامعة الأزهر الشريف الذي يعتبر ثاني أقدم جامع في العالم بعد القرويين. وهذا يدل على علاقة مدينة ميدغري الوثيقة بالعالم الإسلامي المتحضر.

هذه بعض المدارس التي أسست في مدينة ميدغري من أجل نشر رسالة الدين الحنيف وما زال يشع نورها في ربوع البلاد بنشر الثقافة العربية الإسلامية رغم تدفق الثقافة الغربية وسيطرتها على قطاع عريض من المجتمع البرناوي.

ومع هذا البسط في العدد الذي يبدو كثيراً للقارئ إلا أن ثمة بعض المدارس لم تذكر هنا، لأن بعض الأماكن التي تعتبر في الولاية من قبل لم تعد الآن في الموقع بسبب تقسيم الولاية إلى ولايتين: أي برنو ويوبي.

الخاتمة

قد تعتبر ولاية برنو مركزاً للتعلم وتعليم اللغة العربية، وقد ساعدت في نشرها في المجتمع البرناوي، وذلك لكونها لغة الدين والثقافة، إضافة لكونها لغة نامية ومتطورة. وهي اللغة الأولى التي اطلع عليها أهل برنو، إذ بها تعلموا الكتابة والقراءة للمرة الأولى. وتحظى هذه اللغة بالحماسة الدينية وخاصة لدى علماء الدين حيث أسهموا فيها بالتدريس والتأليف. ويعتبر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عصر ازدهار هذه اللغة في المنطقة. ويرجع فضل ذلك كله إلى المراكز العلمية التي أسسها سلف هذا المجتمع، حثت كلها إلى الارتقاء إلى درجة الصفاء والطمأنينة والتمسك بالكتاب والسنة والتعمق في اللغة العربية وآدابها. وبسبب هذا العطاء الحضاري لهؤلاء السلف أصبحت برنو سداً منيعاً أمام التغلغل الاستعماري الذي لم يستطع القضاء على تلك المجتمعات والتي ظلت تحافظ على صفائها وميزتها العريقة إلى يومنا هذا. ورغم الكيد البغيض الذي قام به الاستعمار وأذياله لطمس هويتها وإطفاء جذوتها في ضمير إنسان هذه الديار ما زالت اللغة العربية وثقافتها منتشرة في الولاية. حيث إنكبوا في دراستها تعلماً وتعليماً وأسسوا المدارس القرآنية والنظامية على حد سواء.

المصادروالمراجع

- إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ)، **تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو**، طبعة مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٨٥م.
- _____، **مستقبل اللغة العربية في نيجيريا**، محاضرة مقدمة في كلية الآداب قسم اللغة العربية، جامعة إلورن ولاية كوارا، عام ٢٠١٠م.
- إبراهيم الضي حامد، **الكتاتيب ودورها فى حفظ التراث الإسلامي لمدينة ميدغرى**، بحث قدم لنيل شهادة التربية الوطنية لقسم التربية والتعليم لكلية الشريعة والقانون فى ميدغرى – عام ٢٠٠٨م.
- إبراهيم عبد المؤمن، **تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية الإسلامية مشاكل وحلول – مدينة دماترو نموذجا**، بحث مقدم إلى قسم الدراسات العربية بكلية الآداب والتربية، جامعة ولاية يوبي، دماترو، لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، عام ٢٠١٤م.
- إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية برنو الإسلامية**، الطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٨٥م.
- أحمد شلبي (الدكتور)، **تاريخ التربية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ط/٤ القاهرة سنة ١٩٧٤م.
- آدم عبدالله الإلورى ، **الإسلام فى نيجيريا**، (د.ت).
- بشير عمر بشير، **مساهمة الشباب المعاصر في تطور الشعر العربي في برنو من عام ١٩٨٠-٢٠٠٨م، دراسة أدبية تحليلية**، بحث قدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ميدغري عام ٢٠١١م.
- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، بغداد ١٩٩٣م، ج٨.
- رحالة الألماني رولفس، رحلة عبر إفريقيا، ترجمة عماد الدين غانم، منشورة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، ص ٤٥٠.
- صالح بلعيد (أ.د)، **المعجم التاريخي للغة العربية بين النثور والانجاز**، من منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، عام ٢٠١٥م.
- عبد الرؤوف السيوطي عبد الرحمن، **دور اللغة العربية في بناء مستقبل نيجيريا**، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ميدغري عام ٢٠٠٧م.
- عبد العال سالم سكر، **ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام**، ط١، بيروت ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة.
- عبد الغفار جده جبريل، **حالة اللغة العربية في برنو قبل الاستعماروبعده من سنة ١٩٠٠-٢٠٠٠م**، بحث تكميلي قدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة ميدغري عام ٢٠٠٤م.
- عز الدين عمر موسى، **دراسات إسلامية غرب إفريقية**، ونال به درجة الماجستير من قسم اللغات النيجرية والإفريقية، جامعة أحمد بلو زاريا عام ١٩٨٠م.
- علي أبوبكر (الدكتور)، **الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠-١٩٦٠م عام الاستقلال**.
- فضل كلود الدكو [الدكتور]، **الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم**، رسالة الدكتوراه، كلية الدعوة الإسلامية ليبيا، عام ١٩٨٨م.

- كارل يرو كلمان، **فقه اللغة السامية**، ترجمة رمضان عبد التواب، السعودية عام ١٩٧٧م، من مطبوعات جماعة الرياض.
- كبير تدن نفاوا، **المدخل إلى الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر الميلادي**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة عام ٢٠١١م.
- محمد بلو، **إنفاق الميسور في بلاد التكرور**، القاهرة وزارة الأوقاف ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

- https://mawdoo3.com/مفهوم_المدرسة_التقليدية